

## تركيا - ٢

للأستاذ أبو الفتوح عطفية

• حفوا للعدوب حرياتهما فان القوب الأحرار خير  
• من ضد العنابن والاستبداد والاستعمار • غلادستون

### موطن نزال

تشغل تركيا مكانا ممتازا بأهمية موقمه الدولي.. فهي تضع قدما في آسيا وتضع قدما الأخرى في أوروبا وتتحكم في الملاحة بين البحرين الأبيض والأسود

وقد كانت أرضها ميدان النزال بين الفرس واليونان في التاريخ القديم، وموطن الصراع بين المسلمين والروم في العصور الوسطى، وكانت طريق الصليبيين إلى الشرق أثناء الحروب الصليبية، وهي الحروب التي شنها الغرب على الشرق وانتهت بانتصار الشرق وخذلان الغرب.

وفي العصور الحديثة كانت تركيا وما تزال ميدان صراع دولي عرف في التاريخ باسم المسألة الشرقية

### المسألة الشرقية

في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي نزل الأتراك العثمانيون في آسيا الصغرى وأسسوا دولتهم التي بدأت صغيرة ثم أخذت تنمو وتوسع حتى شملت آسيا الصغرى، ثم عبروا البحر إلى أوروبا ونزلوا بشبه جزيرة البلقان واستولوا على القسطنطينية عام ١٤٥٣ وأنخذوها عاصمة لدولتهم الكبيرة

واستمر الأتراك في فتوحاتهم ففتحوا بلاد الشام والعراق وفلسطين وبلاد العرب ومصر وشمال أفريقيا؛ وفي أوروبا استمر جندهم في فتحهم حتى قرعوا أبواب مدينة فيينا عاصمة الإمبراطورية النمسية

في ذلك الوقت لم تكن هناك مسألة شرقية وإنما كان يوجد ما يمكن أن يسمى بالمسألة الغربية. ما هو مصير غرب أوروبا أمام الزحف التركي وما الذي سيؤول إليه أمر غرب أوروبا في حال استمرار انتصار الأتراك؟؟

لكن الأتراك ردوا عن فيينا ثم مالبتوا أن استقروا في البلاد

الثامنة التي فتحوها وأصابهم الترف ونزل بهم الوهن وتجلى ضعفهم شديدا شنيعا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديين وظهت المسألة الشرقية واتخذت مكانا بارزا في التاريخ الحديث

وكانت روسيا أكبر عدو لتركيا؛ ذلك أن روسيا نهضت على يد بطرس الأكبر وبدأت تحتل مكانا بارزا في التاريخ منذ أوائل القرن الثامن عشر. وكانت روسيا تريد الوصول إلى البحرين الأسود والأبيض وكان هذا لا يتأتى إلا على حساب تركيا، ومن أجل هذا قامت الحروب بين الدولتين ووضعت روسيا يدها على شواطئ البحر الأسود الشمالية والشرقية

لكن روسيا كانت ترنو دائما إلى الوصول إلى القسطنطينية وهذا هو محور سياستها، وتجلى لنا واضحا جليا في جميع حوادث التاريخ منذ القرن الثامن عشر حتى اليوم

وقد ساعد روسيا على تنفيذ سياستها أن تركيا لم تعجل على إدماج رعايا البلقان في رعاياها؛ بل تركت لهم حريتهم الدينية وحكومتهم الذاتية ولتتهم القومية واكتفت منهم بما قدموا لها من جزية وضرائب

واستغلت روسيا الروابط الدينية والجنسية التي تربطها بسلطان البلقان، وعملت دائما على خلق المتاعب في وجه السلطان، وسارعت إلى نصرته الأثرين بقواتها وأملت على تركيا شروط الصلح لفائدتها

وكانت النمسا العدو الثانية لتركيا، فقد اقتطع الأتراك جانبا كبيرا من أملاكها في البلقان وفي الدانوب، ولما ضعفت تركيا عملت النمسا على استرداد ممتلكاتها ونجحت في ذلك إلى حد كبير في القرن الثامن عشر

أما فرنسا - وكانت عدوة للنمسا - فقد أقامت علاقات ودية مع تركيا منذ القرن السادس عشر

ولكن إنجلترا في القرن الثامن عشر كانت تجرد في روسيا حليفا طبيعيا؛ فقد كانت روسيا سوقا هامة للتجارة الإنجليزية؛ وكانت إنجلترا ترى أنها بحاجة إلى صديق وحليف ليعاونها ضد عدوتها التقليدية إذ ذاك وهي فرنسا

لكن حملة نابليون على مصر نهت إنجلترا إلى الخطر المحقق

ولكن غلادستون زعيم الأحرار في إنجلترا صرح قائلا :  
« حققوا للشعوب حرياتهم فإن قلوب الأحرار خير حصن  
ضد الطغیان والاستبداد والاستعمار »

وفي ١٨٧٦ ثارت شعوب البلقان ضد تركيا وتقدمت روسيا  
لساقتها وهزمت تركيا ووقف الجند الروس أمام القسطنطينية..  
وهنا تقدمت إنجلترا وأمرت أسطولها بدخول مياه البسفور  
ومقاومة الروس إذا دخلوا القسطنطينية، وأمام تهديد إنجلترا ووقفت  
روسيا ووقعت مع السلطان معاهدة سان ستفانو ١٨٧٨. لكن  
إنجلترا لم توافق عليها ودعت الدول إلى عقد مؤتمر دولي لبحث  
المشكلة؛ وقد اجتمع المؤتمر في برلين في يوليو ١٨٧٨ ووقعت  
الدول معاهدة برلين وبها تحقق استقلال رومانيا والجبل الأسود  
والصرب وأعطيت بلناريا حكومة ذاتية وأخذت روسيا قارص  
وباطوم واستولت إنجلترا على جزيرة قبرص وبعدها بسنوات  
احتلت مصر. وتحقق لإنجلترا ما تبغىه من إبعاد روسيا عن  
القسطنطينية

وتجلى أهمية القسطنطينية في نظر روسيا في الحديث الذي  
دار بين القيصر إسكندر الأول و نابليون الأكبر إمبراطور فرنسا،  
وكان نابليون يطمع في صداقة القيصر ليتمكن من هزيمة عدوته  
اللدودة إنجلترا

قال القيصر « القسطنطينية هي مفتاح بيتي ويجب أن يكون  
في حوزتي »

فرد نابليون « القسطنطينية أ من الاستحيل.. إن هذا معناه  
تكوين إمبراطورية عالية »

وهكذا لم يستطع القيصر والإمبراطور الاتفاق بشأن  
القسطنطينية، وكان ذلك من أهم أسباب اختلافها وانضمام روسيا  
إلى إنجلترا ضد نابليون مما كان له أكبر الأثر في القضاء على  
نابليون. وهكذا نرى أن المسألة الشرقية كانت عاملا كبيرا في  
سقوط نابليون وفي تحويل مجرى التاريخ

وفي ١٩٣٩ عقدت روسيا مع هتلر ميثاق عدم اعتداء مما  
كان له أكبر الأثر في نشوب الحرب العالمية الثانية، وفي  
اعتقادي أنه لولا هذا الميثاق لما نشبت الحرب  
اطمان هتلر إلى روسيا وقام بحارب، وأجرز جنده النصر

بها من جراء مطامع روسيا، فقد كانت روسيا تطمع في الاستيلاء  
على القسطنطينية والوصول إلى البحر الأبيض وكان ذلك خطرا  
يهدد مصالح إنجلترا في الشرق. ثم إن روسيا كانت تستطيع  
الوصول برا إلى الهند

وهكذا وجدت إنجلترا في مطامع روسيا خطرا عليها ومن ثم  
وقفت بجانب تركيا وأخذت تعمل على المحافظة عليها ولكنها لم  
تر بأسا من اقتطاع كثير من أملاكها في الوقت المناسب  
ويتجلى اهتمام إنجلترا بمصير تركيا في وقفها بجانبها هي  
وفرنسا أثناء حرب القرم ١٨٥٣ - ١٨٥٦ وهي الحرب التي  
شنتها روسيا على تركيا وانتهت بانتصار إنجلترا وفرنسا وتركيا  
عليها وكان سببها مطامع روسيا في تركيا

في ١٨٤٤ زار قيصر روسيا تقولا الأول إنجلترا وتحدث مع  
لورد أبردين وزير خارجيتها حديثا عبر به عن سياسة روسيا إزاء  
تركيا: « إن تركيا رجل مريض يحنض ويخشى أن يموت فجأة  
وحيث يحدث خلاف بين الدول حول تقسيم تركيا ولذلك فن  
الأجدر أن نتخذ الدولتان إنجلترا وروسيا الأهبة لمواجهة الموقف  
وخير لها أن يتفقا على تقسيم لإملاك تركيا » وقد كثر القيصر  
حديثه هذا مرة أخرى مع سفير بريطانيا في روسيا ١٨٥٣ وكان  
ذلك من أهم الأسباب التي دعت إنجلترا إلى الدخول في حرب  
القرم ضد روسيا، فقد كان بلرستون رئيس وزراء إنجلترا يؤمن  
بأن مايقال كل يوم من أن تركيا رجل مريض يحنض كلام فارغ  
لا يؤبه له؛ وأنها لو أعطيت وقتا كافيا بدون قلاقل أو متاعب  
لا استطاعت أن تصلح من شأنها وأن تستعيد مجدها كدولة قوية  
لها وزنها في السياسة الدولية

وفي معاهدة باريس ١٨٥٦ أعطيت تركيا الفرصة اللائمه  
وحرم على روسيا أن تنشئ قواعد حربية على شواطئ البحر  
الأسود إذ أن يكون لها فيه أسطول حربي وأعلن حياد البحر  
الأسود

لكن تركيا لم تتم بالإصلاح المطلوب ولم تنزل شعوب  
البلقان عن مطالبها القومية فقد كانت تريد الاستقلال عن تركيا.  
وكانت الدول تخشى أنه في حالة استقلال هذه الدول: رومانيا  
والصرب والجبل الأسود وبلناريا.. أن تقع في يد روسيا